
شذرات ثقافية
العدد العشرون
●الاستطاعه مناط التكليف
●الإسلام ومستقبل البشر يه
●المعاناة من غلاء الأسعار
●قراءة فى ديوان " أرواح من لوح"
●النار اليونانيه.. لهيب الحروب فى العصور الوسطى
●من المخرب؟؟
رئيس التحرير
وائل مجدى

الفهرس

الاستطاعة(القدرة)
مناط التكليف



بقلم اد.عادل القليعي

أستاذ الفلسفة الإسلامية

آداب حلوان.

تلك قاعدة فقهية مثلها مثل القاعدة الفقهية درء المفاسد مقدم علي جلب المنافع.

بداية وحتي لا يزايد علينا أحد، نحن نؤمن بالكتاب محكمه ومتشابهه وبالسنة المطهرة وبأحاديث النبي صلي الله عليه وسلم، ونؤمن بكل الرسل والأنبياء ولانفرق بين أحد منهم، ونؤمن بالعقل الذي هو هبة ومنحة من الله والذي أمرنا تعالى أن نعمله ونستعمله اعتبارا كمرشد ودليل وهاديا إلي الحق، فاعتبروا، أفلا يعقلون، وفي غير ذات موضع من كتاب الله تعالى، ذكره الله رافعا ومعليا من شأنه، بل وحفظه من كل ما يخامره ويغيبه.

كما نسلم أن لواقعنا المعيش قضايا مهمة لابد أن تناقش مناقشة موضوعية_ومن ينكر ذلك من أهل الفكر فهو جد غير منصف_قضايا تحتاج أن تتضافر كل الجهود سواء جهود علماء الدين، المفكرين، علماء النفس ، علماءالاجتماع فكل هؤلاء يشكلون وعي الناس، لكن لابد أن يكون وعيا حقيقيا لايخالطه زيف ولاخداع لخدمة طائفة علي حساب طائفة، أو لتحقيق مآرب أخرى.

فوجوه الزيف وتزييف الوعي ما أكثرها فنجد عالم الدين _إلا مارحم ربي_ يفتي بفتوي ضيزي باطلة كمن يدعي مثلا أن الطلاق الشفاهي لايقع، أو كالذي يفتي بأن تحديد النسل قد أقره الشرع_ أي شرع هذا، أو كالذي يحل ما حرم الله تعالى ويحرم ما أحل الله، كمن يتحدث عن تعدد الأزواج وأن التعددية حرام وأن ثم قوانين ستسن تجرم ذلك وغرامات سيدفعها من يفعل ذلك، لكن نقول، ثم ضوابط وشروط ينبغي أن تراعى في مسألة الزواج والتعدد فإذا كانت الزوجة ودودة محبة لزوجها تقف معه جنب إلي جنب تدفعه دفعا إلى الأمام فهل جزاؤها أن يتزوج عليها زوجها، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، وغيرها من المشكلات المعاصرة حديث الساعة.

وكذلك علماء النفس الذين يتم استضافتهم علي شاشات التلفاز والذين يبدون من طرف اللسان حلاوة ويصورون لنا الحياة وردية جميلة وأن ليس ثمة مشكلات وما نتحدث عنه هو أوهام في خيالاتنا ويدسون السم في العسل بكبسولات مسكنة أسالهم سؤالا هل حل المشكلات بالرومانسية الحالمة لو كان ذلك كذلك لكنا ملئنا الدنيا باللافتات وبالكلام المعسول ، وكذلك الأمر بالنسبة لعلماء الاجتماع هل قمتم بدراسات ميدانية وعاينتم ما يتعرض له الناس من ضيق عيش وضيق في المأكل والمشرب والمسكن والصحة والتعليم.

يا سادة لابد من الشفافية والمصارحة في الطرح والمعالجة، نضع أيدينا غير المرتعشة علي الداء، ونقدم دواء حقيقيا بعد تشخيص سليم لايشوبه شائبة.

وهذا ما تسعى إليه قياداتنا سعيا دءوبا، لمعالجة قضايانا معالجات جذرية لا بمسكنات وقتية وانما حلول ناجعة ناجحة تفيد بنى وطننا إفادة معتبرة يشعر معها بتحسن وانتعاش على كافة الأصعدة والمستويات إقتصاديا وسياسيا وثقافيا واجتماعيا ودينيا، ومن ثم بات الأمر جد مهم أن تتضافر كافة الجهود وتلتف حول هذه القيادة الرائدة الحكيمة ذات الوعي والرؤية المستقبلية.

عندما نتحدث عن القاعدة الفقهية الإستطاعة مناط التكليف، نتذكر علي الفور قول الله تعالى (لايكلف الله نفسا إلا وسعها)، ونتذكر أيضاً منهجنا الإسلامي الوسطي المعتدل ونتذكر قول الرسول صل الله عليه وسلم، الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه.، ونتذكر لاتكن يابسا فتتكسر ولاتكن لينا فتعصر.

ولكن كن في الوسط العدل المحمود، بمعني كن شديدا قويا واضرب بيد من حديد متي اقتضت الضرورة لذلك في بيتك، في عملك لأن ذلك يقوم أمة وما استقامت أمة علي التماهي والميوعة، والعكس ما استقامت علي اليبوسة والشدة والقسوة، لكن لدينا منطق العقل ، ولدينا رقة القلب وياحبذا لو اجتمعت حكمة العقل ورقة القلب ستستقيم أمورنا.

إذا كان الأمر في استطاعتنا وفي مقدورنا وجب التنفيذ علي الفور، أما إذا تعذر فلا مندوحة من التوقف، عملا بقوله تعالي لايكلف الله نفسا إلا وسعها ولنضرب مثالا علي ذلك الصلاة وهي فرض عين علي كل مسلم عاقل بالغ راشد، وضوابطها الإستقامة وقوفا واعتدالا لكن إذا كان الرجل به علة ولا يستطيع الوقوف فعليه بالجلوس وإذا لم يستطيع فعل ذلك فعليه حتي أن يصلي بأصبعه،وإن لم يستطع فحتي بتحريك عينه، وإن لم يستطع فبقلبه وما أجملها صلاة القلوب، فصلاة القلوب سجود وجودها رأس الخشوع.

وهناك أمور كثيرة في الدين تؤخذ علي قدر الاستطاعة، ودليلي علي ذلك الأعرابي الذي سأل الرسول صل الله عليه وسلم، لو صليت وزكيت وصمت وحججت البيت وشهدت بالتوحيد ولا أزيد سنة ولا نفلا، هل أدخل الجنة قال له النبي نعم فقال الرجل سأفعل ولا أزيد، قال النبي أفلح إن صدق.

إذا ثم فسحة في ديننا الذي يرفض المغالاة والتشدد فلماذا نشق علي أنفسنا ، ألم يأتي ثلاثة رجل للنبي، أحدهم يقول أصوم الدهر ولا أفطر، والأخر أنا لا أتزوج النساء، والثالث أقوم الليل ولا أنام، انظروا إلى الدواء

الشافي والترياق الوافي، رسول الله، أما أنا فأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وأقوم وأنام، وهذا هو الجمع بين عقلانية العقل ورقة القلب.

فالإستطاعة مناط المسؤولية والتكليف، وربنا الرحيم بنا لا يكلفنا ما لانطيق وشاهدي علي ذلك، قوله تعالي في الزكاة والصدقات،والذين في أموالهم حق معلوم للسائل. والمحروم انظر إلى كلمة (في)أي ليس كل أموالهم للسائلين وانما الأنصبة الشرعيةالتي قررها علماء الأصول.

أيضا في صيام الحامل والمرضعة، على قدر استطاعتها دون مغالاة ودون تفريط أيضاحفاظا علي حياتها وحياة جنينها.

حقا ذلك الدين القيم، حقا ذلك دين القيمة، حقا ذلك دين البينة، حقا إنه الدين الخاتم ، (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا).

وأختتم حديثي بقوله تعالي ملخصا القول في القدرة والإستطاعة(لايكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربناولا تحمل علينا إصرا كما حملته علي الذين من قبلنا،وربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا علي القوم الكافرين).

الإسلام، ومُستقبل البشرية



أ.د. ناصر أحمد سنه، كاتب وأكاديمي مصري

المتأمل في واقع المجتمع البشري يجده قد علا في جوانب، وانتكس في أخرى. علا في جوانب علمية وتقنية ومادية تراكمت عبر العطاء الحضاري المشترك. وانتكس في بعض جوانب أخلاقية وإجتماعية وإقتصادية وبيئية الخ. تراكمت ـ أيضاًـ أسبابها. وبدخول البشرية عصر"العولمة"، حيث سقوط الحدود والسدود، وشاعت "ثقافة عالمية"، وظهرت "قرية كونية، ومواطنة عالمية، جماعة كونية " متشابكة المصالح والمفاسد في آن. فالمصلحة أو المَفسدة البشرية في أي بقعة من العالم تجد صداها في شتى الأرجاء. وبات السؤال الذي بات يطرح نفسه بقوة: ماهو دور الإسلام في مستقبل البشرية؟.

ثمة أهمية كبري للمقاربة الجادة والواعية والعميقة لفهم ملامح وخصائص شريعة الإسلام الخاتمة. والمستندة إلى الفطرة الإنسانية، والوسطية السمحة، ومرجعية النص السماوي المعصوم، والمُصوِب لما لدى (الآخر)، والهدي النبوي الصحيح، والثراء التطبيقي التاريخي. حيث طُبق واقعاًَ معاشاً، وتم تقديمه للآخر إقتداءً وإنقاذاً، وتحملاً للمسئولية الإنسانية: "وما هو إلا ذكر للعالمين"(سورة القلم: 52). ذلك لأنه عبر المسيرة الطويلة لشرائع السماء، وجوهرها إسلام الوجه لله، يبقى القرآن الكريم، كتاب الله الخاتم للبشرية: "ليس تعبيراً عن نفسية فرد، ولا انعكاسا لعقلية شعب، ولا سجلا لتاريخ عصر أو جماعة، إنما هو كتاب البشرية المفتوح، ومنهلها المورود، مهما تباعدت الأقطار والعصور، وتعددت الأجناس والألوان، وستجد فيه

إلى الحق سبيلاً، وإلى الشفاء من العلل والأسقام دليلاً"(1). فبماذا يُسهم الإسلام ــ وهذه أسس مرجعيته ــ في الاضطلاع بدوره في مستقبل البشرية؟.

الجوانب الآخلاقية

هل الإنسان مجموعة من الحاجات والغرائز فقط، إذا لُبيت ـ بأي وسيلة ـ تحققت كينونته وسعادته؟. لقد تراكمت بعض مظاهر "الذبذبة" الأخلاقية، "السيولة" القيمية، و"النفعية" الحاكمة لعصر الحداثة وما بعدها مستندة إلى مناهج وأيدلوجيات وضعية فصمت بين جوانب الإنسان.. روحاً وجسداً، فكراً وتطبيقاً. ودونما كثير اعتبار للشوق الروحي، والبعد الأخلاقي الإلهي والفطري. وشريعة الإسلام تقدم أنموذجا للقيم السامية والثابتة والشاملة والوسطية والواقعية والمنفتحة (2). تتأكد فيه الكرامة الإنسانية بشقيها الروحي والمادي:"ولقد كرمنا بنى لآدم وحملناهم في البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا"(سورة الإسراء: 70). كما تكسب هدايتها للمعروف كل معروف، ونهيها عن المنكر كل منكر، وتمتعها بالطيبات كل الطيبات، واجتنابها الخبائث كل الخبائث، وتضع عنها أصرها وعنتها والأغلال التي عليها، فتزداد سعادتها الحقيقية. فالمرجعية الإلهية للقيم والأخلاق لا تكون إلا في الإسلام. حيث تهيمن على شتى مناحي الحياة، بلا انفصام أو تعارض، أنموذجاً أخلاقياً حقيقياً، وتبيانا شافياً، وتصحيحا وافياً لأزمة إنسان العصر، والمستقبل:"قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب، ويعفوا عن كثير، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين" (سورة المائدة:15).

الحقوق، والحريات الحقيقية

كثيراً ما يتم استغلال "حقوق الإنسان" لخدمة مصالح شخصية. وربما يتم قصرها (عنصرياً) على إنسان دون آخر، ولقوى دون ضعيف، ولأبيض دون أسود، ولغنى دون فقير. والمواثيق الدولية ـ كالإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948م ـ نصت على ضرورة صيانتها، دون وضع الوسائل الكفيلة بضمانها وتطبيقها تطبيقاً عادلاً وشاملاً. فظهر ما ظهر من شواهد وأحداث تناقض تلك الحقوق، جملة وتفصيلاً. لكن الشريعة الإسلامية تُحق الحقوق والحريات الحقيقية للناس كافة (3). فمقاصدها حفظ ضرورات البشر الخمس: العقل والنفس والنسل والدين والمال، التي لا يصلح الأمر إلا بها وبما يلزمها من حقوق وواجبات. وإذا ما أنتقص حق/ حرية فرد فللعدل والعدالة دورها الناجز: "وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل"(سورة النساء: 58). وللتقاضى والمساواة الكاملة للكافة أمام القضاء تاريخها الساطع في حضارة المسلمين :"ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى"(سورة المائدة: 8). وهذا التوجه مؤسس على أن طبائع البشر وسنة الوجود التي أرادها الله تعالى اقتضت التنوع والتعدد:"ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين، ألا من رحم ربك ولذلك خلقهم.."(سورة هود: 118- 119). لذا فكل محاولة إجبارية لفرض دين معين أو رأى خاص:"ولكل وجهه هو موليها"(سورة البقرة: 148)، هي على النقيض من سنة الوجود. حيث أن "معاني الاختلاف لا تكون في الشيء المختلف فيه، بل في الأنفس المختلفة عليه، فحكمك على شئ هو عقلك أنت فيه، والقرآن نفسه قد أثبت الله تعالى فيه أقوال من عابوه، وحاورهم حوارا موضوعياً ومنطقيا، ليدل بذلك على أن الحقيقة تحتاج إلى من ينكرها ويردها، كحاجتها إلى من يُقر بها ويقبلها، فهي بأحدهما تثبت وجودها، وبالآخر تثبت قدرتها على الوجود والاستمرار"(4).

فوسطية الإسلام لا تجعله منطوياً على نفسه فاتراً في دعوته، بل يدعو الإنسانية لجادة الصواب بالرفق والحكمة بلا إكراه أو وصاية أو إجبار (5):"ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين"(سورة يونس:99). بهذا تكسب البشرية التجربة الحضارية "الأعدل" من كل ما اهتدى إليه العقل البشرى. حيث التحرر الحقيقي وحقوق الإنسان المنشودة:"متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا"(6).

لعقود.. كرست البشرية "تراتيبية عالمية وفقاً للأقوى ومصالحه". فكانت الإمبريالية، والنازية، والفاشية، والنزعات العنصرية. وبدا عدم قبول مجتمعات لبعض الأقليات الإثنية والدينية والثقافية، ومحاولات التحرش بها، و"التطهر" منها، لتحتفظ بنقائها العرقي، والديني، والثقافي. لكن شريعة الإسلام، وحضارته، محت وتمحو ما بين البشرية من فوراق الأجناس والأنساب والألوان واللغات. ولتجمع بينهم في أمة اصلها واحد، لا فضل لأحد، يتعالى به وباستحقاقه ما ليس له، إلا بالمعيار الأساس: "التقوى والعمل الصالح". وهما أعمال كسبية يتسابق فيهما البشر جميعا لمرضاة لربهم، وخدمة لبشريتهم:"يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله اتقاكم"(سورة الحجرات:13).

وتعترف شريعة الإسلام، وحضارته، "بالتنوع" المنبثق من "الوحدة" البشرية. وتقدم أنموذج الآصرة الإنسانية الواحدة:" كلكم بنو آدم، وآدم خُلق من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم، أو ليكونُن أهون عند الله تعالى من الجعلان"(7)، وكذلك الأسرة الروحية الواحدة التي تؤمن بجميع الكتب والأنبياء دون تفريق بين أحد منهم:"قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أُوتى عيسى وموسى، وما أُوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون"(سورة البقرة:136). فحضارة الإسلام"وفى لبها القرآن لا تصلح لأن تكون محلاً للسؤال عن العلاقة بينها وبين الشرائع السماوية السابقة،إذ لا يُسأل عن العلاقة بين الشيء ونفسه، فالإسلام ليس اسماً لدين خاص، وإنما هو اسم للدين المشترك بين الأنبياء جميعاً، فكلهم أمروا بإسلام الوجه لله، فهاهنا وحدة لا انقسام لها (8)، ولم تنعم عرقيات وثقافات بحقوقها كما نعمت ضمن منظومة الحضارة الإسلامية. فأثرى غير المسلمين ـ بجدٍ واجتهادٍ وتفانٍ ـ مسيرتها الزاهرة.

الجوانب الأسرية، والإجتماعية

مستقبل البشرية في إعادة الإعتبار للأسرة، و"ميثاقها الغليظ". وتفعيل دورها التربوي والإجتماعي، إحترام أهدافها في تحقيق التوازن العاطفي والنفسي والجسدي، والتي تختل وتتآكل عالمياً. حيث تنامي التفكك الأسرى، وارتفعت معدلات الطلاق. وظهرت "اتجاهات عاصفة لنشر الإباحية، وظهور مفهوم "الجندر". وبروز أنماط غير سوية من المعاشرة الجنسية، وتقنين الإجهاض، واستباحة الحمل خارج نطاق الزوجية، وتحديد مفهوم الأسرة فقط لتحقيق اللذة أيا ما كانت. أو في تكريس دورها الاقتصادي البحت.. استهلاكا أو إنتاجاً. ومع تآكل دور الأسرة هذا تتعرض فئات من البشرية للخطر لندرة نسلها، وزيادة أعداد شيوخها. لذا تتسابق دول، وتقدم حوافز وخدمات لتشجيع الإنجاب.

ومن مشكلات البشرية.. شيوع المخدرات، وتحالفها مع القمار، وتجارة الرقيق الأبيض. فتقديرات الأمم المتحدة العام 2003م تقول: أنه يُنفق في تجارة المخدرات 600 مليار دولار سنوياً، وعدد مدمنيها يصل إلى 185 مليون نسمة، وتكلفة مكافحتها وعلاجاتها 120 مليار دولار سنوياً(9). ومن المعلوم أن أسبابها ومضارها، الفردية والعامة، لا تخفى على أحد. وهي تحتاج لمسئولية جماعية في مواجهتها، تحريماً كما في شريعة الإسلام. ووقاية وعلاجاً ومواجهات أسرية واجتماعية وإعلامية وقانونية ودولية. كما شاع العنف بأنواعه من جرائم قتل، واختطاف، واغتصاب، وسطو، وسرقات، وعنف أسري، وتجارة الأطفال واستغلالهم جنسياً وفي سوق الأعمال. والإحصائيات في هذه المجالات أكثر من أن تحصي عالميا. وتضج بعض جهات "نفعية رأسمالية" بالشكوى من عدم الفائدة الإقتصادية لذوى الإحتياجات الخاصة وكبار السن، والأيتام، واللاجئين، والمشردين جراء تنامي الكوارث الطبيعية. إن الإسلام، وشريعته، وقيمه في هذا المجال (الأسري، الإجتماعي) لا تحتاج لمزيد بسط في كيفية علاج هذه المشكلات وغيرها:"إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون"(سورة النحل: 90).

الجوانب الإقتصادية

ليست الموارد ناضبة، والغذاء يقل عن الوفاء باحتياجات الزيادة السكانية، كما زعم "مالتوس". مكرساً أحقية "البقاء للأغنى"، و"موت الأضعف" عبر المجاعات والأوبئة والحروب، والديون المتراكمة. بينما الأراضي المزروعة عالمياً تمثل فقط 10 % من الصالحة للزراعة. ومشكلة الغذاء والتجارة والإقتصاد العالمي تكمن في "عدم عدالة توزيعه"، حيث أغنياء (نحو خمس البشر، يحوزون 80% من الأقتصاد العالمي) متخمون، وفقراء (نحو أربعة أخماس البشر، يملكون 20% من الأقتصاد العالمي) مدقعون (10). وبالإسلام تكسب البشرية معالجة اقتصادها "اللاإنساني" بربطة بالأخلاق والقيم..الرحمة والتكافل والتعاون، وقيمة العمل:"إذا قامت القيامة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها"(11)، وينهى عن التبطل والاحتكار والاستغلال والجشع والغش، يأمر بطرق كسب وإنفاق مشروعين، وينمى الوازع الأخلاقي فيهما، والموازنة في الإنفاق وفقاً للضرورات والحاجيات والتحسينيات على مستوى الفرد والمجتمع والدول. وفقه الإسلام يعارض جمع الثروات في أيد معدودة، فتوزيعها الفيء والغنيمة والزكوات والخراج والعشور والتركات والكفارات بين أكبر عدد من أفراد المجتمع:"كي لا تكون دُولة بين الأغنياء منكم"(سورة الحشر:7)، والأرض لمن يحييها، وتبقى الملكية الحقيقية لله تعالى، والنهوض برؤوس الأموال لتنهض في الإستثمار الحقيقي، لا الترفي/ الإستهلاكي وإيجاد فرص العمل. إن مبدأ "إنفاق العفو"(12) من كل شئ كفيل بالقضاء على الفقر، ولقد شهد عصر الخليفة الراشد الخامس" عمر بن عبد العزيز وفرة اقتصادية غير مسبوقة في العالم، فلم يوجد ثمة فقير يأخذ الصدقة.

الصراعات الدولية

هاجس البشرية هو الأمن، والخوف المستمر من العدوان، والصراعات الدولية، وتناميها. وإن الأمن الداخلي والسلام العالمي هو ما يسعى إليه المسلمون: "إيماناً منهم بحياة أخرى وراء هذه الحياة للعدل المطلق فيها ميزان، هو الحافز الباقي لكل أمن يرجى وكل أمان"(13)، والعدل بشتى صوره وحل النزاعات بشكل عادل هو الكفيل بالقضاء على تجارة السلاح وتحويلها لجوانب تنموية تفيد الإنسانية. إن الإسلام لا يكف لحظة واحدة عن مد يده لمصافحة كل ملة ونحلة في سبيل التعاون على إقامة العدل ونشر الأمن وصيانة الدماء وحماية الحرمات، ولو على شروط يدو فيها الإجحاف فالمثل الرائع الذي ضربه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية:"والله لا تدعوني قريش إلى خطة تُوصَل فيها الأرحام وتعَظم فيها الحرمات إلا أعطيتهم إياها". فما حلم به الناس من تسامح وعدل وتعايش سلمى وتعاون على خدمة الإنسانية والرحمة بها: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"(سورة الأنبياء: 107)، ومدافعة الظلم والطغيان والفساد:"وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"(سورة المائدة:2)، إن حضارة قوامها الألفة والمحبة والأخوة كافيه- عندما تسطع شمسها بأن تزيل الكراهية والشحناء من إنسان العصر المأزوم، فإلهاً يمتن على عباده بنعمة زرع الألفة في قلوبهم وتحولهم اخوة بعد أن كانوا أعداءً لله لإله ودود رحيم، تفيض بهما تعاليمه وتتعدى إلى الإنسانية:"عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم"(سورة الممتحنة:7).

المشاكل الصحية، والبيئية

في تسعينيات القرن الماضي يصاب (8500) شخص كل يوم بالإيدز بينهم ألف طفل، وقضى بسببه 1.3 مليون شخص بينهم 300ألف طفل. وهذه الكارثة تبلغ اوجها في 16 دولة أفريقية، وبتسوانا هي الأعلى في نسبة الإصابة حيث من المتوقع أن تصل وفيات الرضع فيها إلى 61% (23). ولنمط الحياة المُتسم: بالإسراف في التغذية، وشيوع المخدرات والقمار والتوتر والقلق والممارسات الجنسية الشاذة. عواقب صحية وخيمة. فمن بين 80-90% من حالات الوفاة بالسرطان، يعود 35% منها للإسراف في التغذية والسمنة المفرطة، و12% إلى تناول الكحول. بينما خسائر الاقتصاد العالمي من التدخين يصل إلى 200مليار دولار سنوياً، حيث يوجد مليار رجل و200 مليون سيدة في العالم من المدخنين، وسنويا يحصد سرطان الرئة في فرنسا وحدها 23 ألف شخص، ونصف مليون امرأة في العالم والذي سيشكل 90% من وفيات النساء ليصبح الأعلى فوق سرطان الثدي (14)، وغازات الأرض المنبعثة والمؤثرة في طبقة الأوزون تسبب 300 ألف حالة سرطان الجلد سنويا. هذا فضلا عن أمراض القلب والشرايين والسكري، والأمراض النفسية كالقلق والاكتئاب والفصام والانتحار غيرها.

ولقد أقرت منظمة الصحة العالمية (WHO) عام 1989م، بأهمية توجيهات وقيم الإسلام المتوازنة من في مجال الصحة الجسدية، كحرصها علي العفة، ومراعاة النظافة، والتوازن والإعتدال وعدم الإسراف في كل شيء:"كلوا واشربوا ولا تسرفوا"(سورة الأنعام:31)، ولا ضرر ولا ضرار"، (15). كما لهدي الإسلام توجيهاته المعتبرة في مجال الصحة النفسية، كالرضا عن الله تعالى، والحياة، والقناعة، ومنع أسباب التوتر والقلق والاكتئاب الخ. لذا فهي الأقوم والأرشد في مقاومة الأمراض بأنواعها، كما أقرت أن نسب الأمراض المرتبطة بأنماط الحياة السيئة هي الأقل في العالم الإسلامي مقارنة بغيره.

وبيئياً.. لاشك أن إرتفاع حرارة الأرض، و"الصوبات الزجاجية"، وذوبان الجليد القطبي، وتآكل طبقة الأوزون، والأمطار الحمضية، وزيادة التصحر (20 ألف ميل/ سنوياً) وتآكل الغابات والمحميات، وتزايد نسب وعناصر وأنواع التلوث مشكلات بيئية تهدد الإنسانية جمعاء. ومن المعلوم أن الطبيعة وكائناتها لا تلوث شيئاً، بل المعاناة من صنع الإنسان، لتدميره التوازن والانسجام بينه وبين نظام الكون والحياة، وفق سنن الله تعالى ومنهجه. ولحضارة الإسلام رؤيتها الشاملة والمُنقذة من مشاكل البيئة.. توازناً ومحافظة على مواردها (دون جور أو استنزاف أو تلويث). ورحمة بالكون وأحيائه، وحيواناته، ونباتاته، وحتى جماداته.

جوانب العلم، والفن

تعاني البشرية من أن خمس عددها من الأميين. وترتفع أصوات العلماء مطالبة "بأخلاقيات للعلم"، وحسن توظيف التقانة (التي أنتجت القنابل الذرية والهيدروجينية)، وضوابط نقل وزراعة الأعضاء البشرية، وتنظيم عمليات الهندسة الوراثية، والتقانة الحيوية (Biotechnology) والتي قد تغير التركيب الوراثي للكائنات والزراعات. ومن المعلوم أن حضارة:"اقرأ" تحض على العلم والتعليم، وإعمال العقل والبحث العلمي، وإزالة الأمية الخ. وما شموس حضارته التي أشرقت من سمرقند، وبخاري، والرى، وبغداد، والقاهرة، والزيتونة، والأندلس، وصقلية، وقبرص وغيرها من مناطق التماس الحضاري عنا ببعيد. ووهدي الإسلام في هذا الشأن يقوم على شقين لا انفصام بينهما: "التقوى"، و"التقانة". وضوابط شريعته الأخلاقية والقيمية قادرة على رأب الصدع بين العلم وأخلاقياته. كما إن للبشرية مع الفن، ومدارسه، ونظرياته، ومظاهره، ومنتوجاته "إشكالية" كبيرة. ولحضارة الإسلام رؤيتها الجمالية والفنية والتجريدية ثراء للتذوق الفني في شتى صوره. ودفاعاً عن كل ما يشين السمو النفسي، والوجداني، والمجتمعي (16).

مجمل القول

تقف البشرية على مفترق طرق. ودين الإسلام، بمسئوليتها الحضارية، يهديها سُبلها، ويعيد توازنها، وينقذها من الهاوية. ويقدم لها الأنموذج السامي، والواقعي، والمنفتح، والثابت، والوسطى الذي يضع الإجابات المقنعة، والحلول الشاملة لأزماتها المعقدة. وتبقى خيرية الأمة الإسلامية في اضطلاعها برسالتها الحالية والمستقبلية:"كنتم خير أمة أُخرجت للناس، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله"(سورة آل عمران:110).

الهوامش والمراجع

1- بتصرف من كلام د.عبد الله دراز: "الدين.. بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان،د.ت.: ص180، وملحق مجلة الأزهر: بحوث إسلامية، صفر: 1426هـ.
2- د. احمد الصاوي: القيم الدينية وثقافة العولمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد: 121، ربيع الأول 1426هـ، ص:37-46.
3- للمزيد د. محمد مفتى، ود. سامي الوكيل: النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية: دراسة مقارنة، كتاب الأمة:25، ذو القعدة، 1410هـ ، قطر.
4- بتصرف من كلام "الرافعي": من وحي القلم، مشروع مكتبة الأسرة 2003م، ص:163- 165.
5- د. عبد الله دراز: الدين .. بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان،د.ت.،ص:190.
6- قالها الفاروق "عمر بن الخطاب" في الحادثة المشهورة عندما ضرب ابن والى مصر"عمرو بن العاص" أحد أقباطها.
7- رواه أبو بكر البزار في مسنده من حديث حذيفة.

8- د. دراز: بحث عن موقف الإسلام من الأديان الأخرى أعد لإلقائه في الندوة العالمية عن الأديان بباكستان يناير 1958م وملحق بكتابه:"الدين.. بحوث ممهدة"، وملحق مجلة الأزهر: بحوث إسلامية، صفر: 1426، ص 21.
9- محمود المراغي: أرقام تصنع العالم، كتاب العربي :32، أبريل 1998م، ص:40.
10- يوسف شرارة: مشكلات القرن الـ 21، والعلاقات الدولية، الهيئة المصرية العامة لكتاب 1997م ص:38،
11- البخاري في الأدب المفرد ،ح 479، واحمد 3/183-184-191.
12- د. يوسف إبراهيم يوسف: إنفاق العفو في الإسلام بين النظرية والتطبيق، كتاب الأمة:36، ذو القعدة 1413هـ، قطر.
13- مجلة العربي، العدد: 143- أكتوبر 1970م.
14- مجلة منار الإسلام، ربيع الأول 1426، ص: 96-97،الإمارات، وأرقام تصنع العالم ص: 65.
15- رواه ابن ماجه والداراقطني.
16- عديدة هي الدراسات والبحوث والمقالات التي توضح رؤية الإسلام، وفلسفته، للفنون والإبداع الفني.

المعاناة من غلاء الأسعار

- بقلم فضيلة الشيخ أحمد على تركى
- مدرس القرآن الكريم بالأزهر الشريف



أسباب غلاء الأسعار

أصبح كثير من الناس يشتكي هذا الغلاء وخاصة الفقراء ولكن غاب عن الجميع أن الغلاء له أسباب كثيرة ومتعددة ومن ذلك حسب ما يظهر لي :

أولاً: كثرة الذنوب والمعاصي وبعد الناس عن دينهم

وهي من أهم الأسباب التي أظهرت هذا الوباء العظيم ومن المشاهد أن بعضًا من المسلمين أصبحوا مفرِّطين في كثير من الأحكام الشرعية ، ليس ذلك فقط بل أصبحوا يقعون في بعض الكبائر غير مبالين بغضب الله تعالى وسخطه .

ومعلوم أن الذنوب تسبب هلاك الحرث والنسل وتسبب انتشار الفساد في البر والبحر قال تعالى :

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[الروم : ٤١]

وقال تعالى :

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ الشورى :٣٠

والله تعالى يبتلي عباده ببعض ما كسبت أيديهم لكي ينتبهوا ويراجعوا أنفسهم .

وقال صلَّى الله عليه وسلَّم :

يا معشر المهاجرين خصال خمس إذا ابتليتم بهنَّ وأعوذ بالله أن تدركوهن :

لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا .

ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم .

ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يُمطروا .

ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلَّط الله عليهم عدوَّهم من غيرهم فأخذوا بعض ما كان في أيديهم .

وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله عزَّ وجلَّ ويتحروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم .

رواه البيهقي والحاكم

فهل يعي المسلمون معنى هذا الحديث العظيم في أحوالهم التي يعيشونها الآن .

ثانياً: حب المال والإكثار منه

فحب المال والحرص على كسبه بأي طريق حتى ولو كان عن طريق الحرام أمر مشاهد للجميع وخاصة مع انتشار المعاملات الربوية واختلاط الحلال بالحرام .

قال تعالى :

﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾

[الفجر:20]

وعندما يطغى ذلك على الناس يصبح الأمر خطيرًا جدًّا ويتسبب في مخالفات شرعية كثيرة .

قال صلَّى الله عليه وسلَّم :

فو الله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم .   [متفق عليه]

ثالثاً : تلاعب التجار والمحتكرين بالسلع التي يحتاج إليها الناس

فبعضهم يقوم بتخزينها وإخفائها من أجل رفع ثمنها لتحصيل أكبر كسب ممكنويتضح ذلك خلال بعض المواسم كدخول شهر رمضان وغيره .

وهذا فيه إضرار بالناس، وخاصة الفقراء وأصحاب الحاجات وهو أيضًا منهي عنه شرعًا .

قال صلَّى الله عليه وسلَّم : (لا ضرر ولا ضرار)

رواه أحمد ومالك في الموطَّأ

ولأنه من الظلم الواضح البيّن الذي أمر الله باجتنابه .

قال الله تعالى في الحديث القدسي :

"يا عبادي ، إني حَرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّمًا فلا تظالموا.... "

رواه مسلم

فاحتكار السلع يحمل في طياته بذور الهلاك والدمار لما يسببه من ظلم وغلاءٍ في الأسعار وإهدارٍ لتجارة المسلمين وصناعاتهم وتضييق لأبواب العمل والرزق .

وهو نوعٌ من محبة الذات وتقديم النفس على الآخرين ويؤدي إلى تضخُّم الأموال في طائفةٍ قليلةٍ من الناس كما في قوله تعالى :

﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾

[الحشر: 7].

إن غلاء الأسعار له أسباب كثيرة ومتعددة منها الذنوب والمعاصي ، بُعد الناس عن دينهم وهَدْيه وقِيَمه ، حب المال والجشع والتهافت على جمعه، استغلال بعض التجار والمحتكرين السلع التي يحتاج إليها الناس.

أيضاً : غياب الثقافة الاستهلاكية الرشيدة وشيوع العقلية الاستهلاكية غير المنضبطة وافتقاد ميزانية الأسرة والإثارة الإعلامية وضَعف دور المؤسسات المعنية بالأسعار .

وهنا أشير لعدد من الحقائق المؤلمة في الموضوع :

أولاً :

إن حب المال والحرص على كسبه بأي طريق حتى ولو كان عن طريق الحرام ، أمر مشاهد للجميع ، وخاصة مع انتشار المعاملات الربوية واختلاط الحلال بالحرام .

ثانيًا :

قيام التجار والباعة الرئيسين بتخزين السلع وإخفائها من أجل التربُّص بارتفاع أثمانها للتربُّح بأقصى قدر ممكن فيه إضرار بالناس وخاصة الفقراء وأصحاب الحاجات .

هنا يمكن القول :

إن غلاء الأسعار يحتاج إلى معالجة قوية من جهة ولي الأمر؛ لكي يحفظ على الناس ضروراتهم الأساسية وهذا يستدعي إمعان النظر في وضع مشكلة غلاء الأسعار والتعرف على أسبابه ، وكيفية معالجتها بالطرق المشروعة.

ذلك أن الإسلام في نظامه المالي يقر الملكية الفردية ما دامت وسائلها شرعية وحرية التصرف في الأموال ما دام التصرف مباحًا وَفْق هدي الشريعة .

والقول بالتسعير فيه سد للذرائع ، ومن المعلوم الثابت أن سد الذرائع من الأدلة المعتبرة في الفقه الإسلامي وأصل من أصوله المعتمدة .

ومعلوم أن سد الذرائع : هو المنع من بعض المباحات ؛ لإفضائها إلى مفسدة .

أنه كلما استولى على التجار الجشع وتمكن من نفوسهم الطمع وسيطرت عليهم الأنانية وعمدوا إلى الاحتكار والاستغلال تعيَّن على ولي الأمر التدخل بتحديد الأسعار .

وخلاصة الأمر:

إنه لا يجوز لولي الأمر أن يتدخل في التسعير ، إلا إذا اقتضت المصلحة العامة منه أن يتدخل ، فيكون تدخله في التسعير إنما هو للضرورة والضرورة تقدر بقدرها .

يقول ابن قيم الجوزية :

"وجماع الأمر أن مصلحة الناس إذا لم تتم إلا بالتسعير سُعِّر عليهم تسعير عدل لا وكس فيه ولا شطط وإذا اندفعت حاجاتهم وقامت مصلحتهم بدونه ، لم يفعل".

العودة للشرع :

إن على المسلمين رد أمرهم إلى شريعة الله العظيمة التي تبين لهم الحق من الباطل والصواب من الخطأ وتدلهم على ما ينفعهم وتحذرهم مما يضرُّهم .

لقد كان يتردد على آذاننا زمنًا طويلاً من على منابر الجمعة وفي قنوت رمضان :

اللهم إنا نعوذ بك من الغلاء والوباء والزنا والزلازل والمحن ما ظهر منها وما بطن اللهم ارفع الغلاء عن بلدنا هذا خاصة وعن سائر بلاد المسلمين يا رب العالمين .

وربما مرَّ علينا هذا الدعاء كغيره من الأدعية لا نشعر بقشعريرة في جلودنا لأننا لم نعرف أثر غلاء الأسعار ، حتى وقع بعضنا فريسة لها وضحية لمرارتها ، عندها تعود به الذاكرة إلى تلك الدعوات التي خرجت مبتهلة إلى ربها بأن يكشف الغلاء عن الأمة.

ربما يكون غلاء الأسعار بسبب ذنوب ارتكبت ومعاصي غشيت وهنا علينا أن نتذكر مقولة عم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم :

إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة .

فتذكر لعل ما نزل بنا الآن يكون سببًا لأن يعود الناس إلى ربّنا فيفتح الله علينا أبواب الخير على مصراعيه .

كما قال تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

[الأعراف: 96].

إن استغلال بعض ضعفاء النفوس ممن يسمون أنفسهم تجارًا لهذا الأمر فيما يظنون أنه يعود عليهم بالنفع حتى ولو كان على حساب مصلحة وحياة الآخرين من إخوانهم المسلمين وتصرفهم هذا بعيد عن منهج الله سبحانه وتعالى وعن منهج رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم .

فربُّنا جل وعلا ونبينا صلوات الله وسلامه عليه – قد جعلا المؤمنين إخوة ولا يحق لأحد أن يبني مصلحته على ضرر أخيه مهما كانت الأسباب أو الدواعي .

فليحذر التجار من الجشع والطمع والأنانية وليرحموا الفقراء والمعوزين وليجعلوا غلاء الأسعار فرصة للإحسان إلى الناس ، وسيجدون بركة ذلك في أموالهم وأحوالهم.

وقد جاء في مسند الإمام أحمد :

عن معقل بن يسار قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم :

من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقًّا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة .

يعني : يقعده في مكان عظيم منها ، وعذا وعيد شديد وزجر أكيد عن غلاء الأسعار ورفعها .

لأن من مقاصد الشريعة المطهرة في البيع والشراء أن تسير الأسعار في طريق تحصل به مصلحة التجار ومصلحة بقية الناس من غير إضرار بأحد على حساب الآخر وهذا من عدل الشريعة ومراعاتها لجلب المصالح ودرء المفاسد .

ولهذا اقول :

إن من لا يرحم لا يُرحم ومن كان في عون أخيه كان الله في عونه ومن نفَّس عن مؤمن كربة نفَّس الله عنه كُربة من كرب يوم القيامة .

فيسِّروا على الناس أمرهم ييسِّر الله أمركم ويبارك في أموالكم وأعماركم وارضوا بما يسَّر الله من الربح القليل تفوزوا بخيرَي الدنيا والآخرة .

واعلموا أن هناك من عباد الله مَن رفعوا أيديهم فاختر لنفسك إحدى الدعوتين إما لك أو عليك

غلاء الأسعار :

لقد عانى كثير من المسلمين من غلاء الأسعار، وخاصة في الأعوام الأخيرة، ولا يزال ذلك في ازدياد، وهذا بطبعه أثّر على معيشة كثير من الناس ، وأدى بهم إلى زيادة الحاجة والعوز والوقوع في معاصي الله من أجل الحصول على لقمة العيش .

وأصبح كثير من الناس يشتكي هذا الغلاء وخاصة الفقراء ولكن غاب عن الجميع أن الغلاء له أسباب كثيرة ومتعددة .

أن تلك الأمراض المعضلة التي بدأت تدبُّ في الناس ، وهي الغلاء واحتكار السلع ، غالبها من ضعف الإيمان وحب الدنيا وإيثارها على العاجلة .

وأنا أقول لمن يقع في ذلك :

كم ستعيش في الدنيا وكم ستملك وإلى متى التمتع بملذّاتها أليست لك نهاية أليس لك لقاء بملك الموت ألا تعلم أنك ستقف بين يدي رب العالمين فيجازيك بما فعلتَ ؟

فليتق الله كل من تُسوّل له نفسه احتكار السلع ورفع أسعارها .

فقد قال صلَّى الله عليه وسلَّم :

«لا يحتكر إلا خاطئ» .

رواه مسلم

والخاطئ هو الآثم .

وقال صلى الله عليه وسلم :

«مَن احتكر ، حَكْرة يريد أن يغلي بها على المسلمين ، فهو خاطئ» .

رواه أحمد

وليعلموا أنه لن تنفعهم أموالهم ولا أملاكهم فتمنع عنهم عقاب الله ، وليعلموا أنهم موقوفون بين يدي خالقهم فيسألهم عن كل ما جمعوه أهو من حلال أم من حرام .

وفي الأثر :

أن الناس في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاؤوا إليه وقالوا :

نشتكي إليك غلاء اللحم فسعِّره لنا فقال : أرخصوه أنتم ؟

فقالوا : نحن نشتكي غلاء السعر واللحم عند الجزَّارين ونحن أصحاب الحاجة فتقول : أرخصوه أنتم ؟

فقالوا : وهل نملكه حتى نرخصه؟

وكيف نرخصه وهو ليس في أيدينا ؟

فقال قولته الرائعة : اتركوه لهم .

فدلهم رضي الله عنه إلى طريقة سديدة لمعالجة سعر هذه السلعة وذلك بتركها بحيث يتركوا ما غلا سعره إلى ما هو دونه ؛ كي يعلم هؤلاء المحتكرون أن الناس يمكنهم ترك سلعتهم فيرخصونها ؟

بل إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يطرح بين أيدينا طريقة أخرى في مكافحة الغلاء :

وهي إرخاص السلعة عبر إبدالها بسلعة أخرى .

فعن رزين بن الأعرج مولى لآل العباس قال :

غلا علينا الزبيب بمكة ، فكتبنا إلى على بن أبى طالب بالكوفة :

أن الزبيب قد غلا علينا .

فكتب أن أرخصوه بالتمر أي :

استبدلوه بشراء التمر الذي كان متوفِّرًا في الحجاز وأسعاره رخيصة فيقل الطلب على الزبيب فيرخص .

وإن لم يرخص فالتمر خير بديل .

فأنتم بيدكم بعض علاج مشكلة الغلاء واحتكار السلع ، فإذا وجد التجار أن الناس زهدوا فيما عندهم من السلع الغالية ، أرخصوها وحرصوا على بيعها .

اعلموا أن التاجر الذي يرأف بالناس يرأف الله به، ومن يرحمهم يرحمه الله ، ومن ييسر عليهم ييسر الله عليه ، ومن صدق في بيعه وشراءه نال الأجر العظيم والثواب الجزيل .

ويكفيه شرفًا وفخرًا أن ينال الجنة بفضل الله تعالى ورحمته .

قال صلَّى الله عليه وسلَّم :

«التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء» .

رواه الترمذي .

إن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أجمعا على تحريم الاحتكار وذلك لقوله تعالي :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ

وما نشهده فى الفترة الأخيرة من ارتفاع الأسعار بشكل جنونى لا يتناسب مع دخل المواطنين .

وهذا كله يرجع لجشع بعض التجار مخالفين بذلك الشرع والأديان السماوية فى احتكار الأسعار وتعطيش السوق بتخزين بعض السلع الأساسية بغية رفع أسعارها.

وعلى المواطنين أن يكونوا على قدر كبير من الوعى ومقاطعة السلع وعدم الانسياق وراء الترويج للشائعات بشراء السلع وتخزينها، لان ذلك من أهم أسباب ارتفاع الأسعار ويساعد التجار على رفع الأسعار واحتكارها، ومقاطعة المحتكرين يساهم بشكل قوى وفعال فى ضبط الأسعار فى السوق ويقضى على جشع التجار.

لقد اشتعلت نار الأسعار واكتَوَى بها الصغير والكبير ، وأُرْهِق المحتاجون والضعفاء والفقراء، وظهر جَشَعُ وطمعُ كثيرٍ من التجار، هذا الطمعُ والجشعُ الذي يُمَزِّقُ كيان الأمة .

إن زيادة الأسعار وَبَالُها كبير وذلك لأنَّ غلاءَ الأسعارِ يُرْهِقُ الضعفاءَ والمحتاجينَ وأصحابَ الحاجةِ ، ويُورِثُ الضغينةَ والبعدَ عن الناس وهو سببٌ في اضطراب الشعوب وعدمِ استقرارها وسببٌ في انتشارِ الحقدِ والكراهيةِ بين أفراد الأمة ، وسببٌ لدفعِ ضِعافِ النفوسِ إلى سلوكِ الطرقِ غيرِ المشروعةِ للحصولِ على المال .

لقد حذَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمةَ من أن تكون سبباً في غلاءِ الأسعارِ .

فعن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه قال :

سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغْلِيَهُ عَلَيْهِمْ كانَ حَقًّا عَلَى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِن النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ . رواه الحاكم وأحمد

بِعُظْمٍ مِنْ النَّارِ: يعني بمكان عظيم من النار.

ليسمعْ كلُّ مَنْ كانَ سبباً في غلاءِ الأسعار وارتفاعِها هذا الحديثَ وليُوَطِّنْ نفسه إلى هذا المصير، إذا لم يتب إلى الله تعالى.

ولهذا يجب علينا التحذير من الاحتكار

ولنسمع إلى تحذير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاحتكار الذي هو سببٌ عظيمٌ من أسباب غلاءِ الأسعار .

أخرج الإمام مسلم عَنْ مَعْمَرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

لا يَحْتَكِرُ إِلا خَاطِئٌ .

وروى الإمام ابن ماجه عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ :

سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

مَنْ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامًا ضَرَبَهُ الله بِالجُذَامِ وَالإِفْلاسِ .

الجُذام : هو الدَّاء المعروف يصيب الجلد والأعصاب وقد تتساقط منه الأطراف.

وعن الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

مَنْ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ بَرِئَ مِنْ الله تَعَالَى وَبَرِئَ الله تَعَالَى مِنْهُ ، وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمْ امْرُؤٌ جَائِعٌ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ الله تَعَالَى .

وعن الطبراني عَنْ مُعَاذِ بن جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ :

سَأَلْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الاحْتِكَارِ مَا هُوَ ؟

قَالَ : إِذَا سَمِعَ بِرُخْصٍ سَاءَهُ وَإِذَا سَمِعَ بِغَلاءٍ فَرِحَ بِهِ بِئْسَ العَبْدُ الْمُحْتَكِرُ إِنْ أَرْخَصَ الله الأَسْعَارَ حَزِنَ وَإِنْ أَغْلاهَا الله فَرِحَ .

وعن الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَبِي صِرْمَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

مَنْ ضَارَّ أَضَرَّ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ شَاقَّ شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ .

ولنسمع إلى حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يرويه الإمام مسلم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ :

قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالله فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ .

واسمعوا حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يرويه الإمام الترمذي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ :

قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ .

وأختم بقول الله تعالى :

{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب}.

واعلموا بأنَّ الجزاء من جنس العمل، ومَنْ ضيَّق على الأمة ضيَّق الله عليه ، ومن أحسن إليها أحسن الله إليه ومن شقَّ عليها شقَّ الله عليه ومن يسَّر عليها يسَّر الله عليه .

وختاماً :

ما نزل بلاءٌ إلا بذنب ، ولا يُرفَعَ إلا بتوبة ، فهل نسمع نداء الله تعالى لنا جميعاً :

{وَتُوبُوا إِلَى الله جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}

هلَّا تُبْنَا إلى الله تعالى من كل سببٍ يكون سبباً في رفع الأسعار .

وأن نكون سبباً في تفريجِ الكُرَبِ عن المكروبين واسأل الله تعالى أن يُصْلِحَ أحوالنا وأن لا يُشَمِّتَ أعداءنا بنا يا رب العالمين .

قراءة في ديوان " أرواحٌ مِن لَوْحٍ "



د. حمدى عبد اللاه رضوان

الحمد لله ربِّ العالَمين علَّم الإنسان ما لم يَعلَم ، والصلاة والسَّلام على مَنْ أُوتي رَوعة البيان ، وجوامِع الكَلم محمَّدٍ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ . وبعدُ ، فهذه قراءة مُوجزةٌ لديوان الدكتورة الفاضِلة / وفاء صالح برتيمة ، حاولتُ قَدر الجهد أن أُقَدِّم للقارِئ الكريم لَمحةً عن أهمِّ مضامين نُصوصه الشِّعريَّة .

(1)ـ بَيْنَ حَدَّينِ

حَدِّ الشَّاعِرِ المُجِيدِ ، وَحَدِّ القَارِئِ الفَطِن

حَدُّ الشَّاعِرِ المُجِيدِ : هو الّذي يَنفُذُ إلى أعمقِ الأعماقِ المُضمَرةِ في النَّفسِ الإنسانيَّةِ الصَّادِقةِ البريئَةِ الصَّافِيَةِ مِنْ لَوْثَاءِ تَجَارِبِ الحياةِ وشَوَاغِلها ، وهو وَحدهُ القادِرُ على الإبَانَةِ عَنِ المَعانِي المُسْتَكِنَّةِ في طَوايَا النُّفوسِ ، فَتَرَاهُ يُسمِعُكَ أصداءَ أحاديثِ النُّفُوسِ في جَهرِهَا ونَجوَاهَا ، وفي شَوقِهَا وجَفَائِهَا ، حِينَ تَعتَورَهَا الآلامُ وتَتَوارَدُهَا العِلَل ، وحِينَ تنعَمُ بِملذَّاتِ الحياةِ وتكسُوهَا الحُلَل .

أمَّا حَدُّ القَارِئِ الفَطِنِ : فيحتاجُ القَارِئُ للشِّعْرِ أنْ يكونَ يَقِظَ النَّفسِ ، حَيَّ الإحساسِ رَهِفَ العَقلِ ، سريعَ الخاطِرِ في إدراكِ المعانِي المُتلاحِقَةِ المُتَلَفِّعَةِ بالغُمُوضِ سَاعَةَ أنْ يَقرأها . فإنْ استطَعت ـ أيُّها القَارِئُ الكَرِيمُ ـ أنْ تُوجِدَ في نَفْسِكَ هذهِ الصِّفاتِ ، فقد فَهِمتَ الشِّعْرَ ونَفَذتَ إلى أغْوارِهِ ، وإنْ عَجَزْتَ عن بَيَانِ ما فيه .

(2)- بَينَ يَدَيّ الدِّيوانِ

يَضُمُّ الدِّيوانُ اثنين وثلاثين نَصًّا شِعريًّا بعناوين مُتنوّعة ، والمُلاحَظُ أنَّ هذا الدِّيوانُ - على غير عادة الشُّعراءِ في اختيار عناوين دواوينهم الشِّعريَّة - لم تَستَخدِم الشَّاعِرةُ عنوان قصيدةٍ على رأس مجموعه الشِّعريّ ، بل اختارت جُملة من القصيدة التَّاسِعَة " زَمَنِي " ، وجعلتها خُلاصَةً للمعاني المُكَثَّفة لنُصوص الدِّيوان ؛ إذ تقول :

أَيَا زَمَنِي

إِنِّي أَتَيَمَّمُ وَجَعِي

حَسْبُكَ أَرْوَاحُنَا

صَارَتْ مِنْ لَوْحٍ

ولَعلَّ استِقراءً دقيقًا لديوان الدكتورة / وفاء صالح برتيمة ، كافٍ للكشفِ عن مِقْدَارِ الامتزاجِ والتَّواشُجِ بين دراستهَا للفلسفَةِ وتدريسهَا ، وبين مَوهِبتِهَا الشِّعْرِيَّةِ . فطالما ألقَتْ الفلسفَةُ بِفيَائِهَا على نصوصُهَا الشِّعريَّة ؛ لتُكَوّن بذلكَ مذهبًا خاصًّا في الحياةِ ، فمفهوم الشِّعر عندها يُمَثِّلُ " آهَةَ مُنَاضِل في تِيه القَوَافِي ، نَعْيًا لواقِعٍ إنسانيٍّ مَأْزُومٍ ، واستِشرَافًا لحلمٍ منشُودٍ تُزَيّنُه قِيمُ الإنسانيَّة " . والحقيقةُ أنَّه لا تناقُضَ بين الفلسفَةِ والشِّعر ؛ إذ العَلاقَةُ بينهما تكاد تكون جوهر الكينونة ومُحَرِّك الوجود ، فلا بُدَّ للفيلسوف الحقّ مِن نصيبٍ مِنَ الخيال والعاطفَةِ ، ولا بُدَّ للشَّاعِرِ الحقّ مِن نصيبٍ مِنَ الفِكرِ ؛ وهُو ما يَجعل ثَمَّةَ إمكانيَّة للتَّعايُشِ بين الخياليّ والعقليّ ، بين العالَم المحسوسِ والعالَم المُجَرَّدِ ، بين البرهان والاستدلال والإيهامِ والخيال العَذْبِ .

ظهر التَّأثُّر بِرُوح الفلسفَةِ جَليًّا في اختيار الشَّاعِرَةِ عُنوان نصوصها الشِّعريَّة " أرواحٌ مِن لَوْحٍ " ، الَّذي حَمَلَ هَمًّا فلسفيًّا لطالَمَا شَغَل الفلاسفةَ على مرِّ العُصور واختلاف الأمصار ، أعني بذلك " مسألة الإنسان " . فالمُستَقرئ للعنوان يُدرِكُ أنَّ الشَّاعِرة أرادَتْ أنْ تُضيفَ بُعدًا غائِبًا في الأوساط الأدبيَّة يَخُصُّ الإنسانيَّة ، فالرُّوحُ مَبدؤها ومنشؤها معروف ، فهي مِن عند الله تعالى خالقها وبارئها والمُتَصرِّف فيها ، أمَّا كَوْنُها " مِن لَوْحٍ " ففيه إشارةٌ دِلاليَّةٌ إلى الحال التي آلَتْ إليه تِلكَ " الأرواح " في هذا العصر الّذي أُشكِل فيه الإنسانُ على الإنسان ، فالإنسانيَّةُ اليومَ تعيشُ في أزمةٍ خانقةٍ تعود إلى أسْطَرةِ العقل وإعلاء القِيم المادِّيَّةِ على حِساب القِيم الرُّوحيَّة والأخلاقِيَّةِ وقِيَمِ التَّضامُنِ والعَيْشِ المُشترِكِ التي أصبحت أثرًا بعد عينٍ .

في قصيدتِها " لقطةٌ مِن حياة " تستنكر الشَّاعِرة الحال الّذي وصلَتْ إليه البَشريَّة مِنَ البُؤس الفِكريّ والخَواء الدِّينيّ بإقصاء الوَحي كَنَصٍّ مُقدَّس يُسّيِّرُ حركة الإنسان لِمَا فيه فَلاحه ؛ فكانت النتيجة تفشِّي الاحتراب والاقتتال ، وانزواء العدل في مقابل سيادة الظُّلمِ حتَّى اِسْتَحَالَتْ] الحياةُ سِجنٌ كبير ، يحتاجُ إلى يَقْظَةِ ضمير [، تقول :

مَا عَادَ عَدلٌ بَينَنَا

يُرتَجى ، وَنَصُّ اللهِ

في الأَرضِ مَرفُوعْ

وَشَاهِدُ القُوَّةِ في

السَّمّاءِ مَوضُوعْ

عَصرُ الخُنُوعْ

الأَوبِئَةِ وَالحُرُوبْ

هذا هو الَّذي ألجأها إلى الاستغراق في الافتراضَاتِ التَّخيُّليَّةِ إلى الحَدِّ الّذي تَرقُبُ فيه ميلادَ الإنسان الأوَّل وكذا عودةُ حوَّاء ؛ لِيُعيدا البشريَّةَ إلى معانيها الأُولى مِنَ السَّلام والوِئام والوُدُّ والتَّراحُم . تقول الشَّاعِرَةُ :

إِنِّي أَتُوقُ لِمِيلَادِ إِنْسَانٍ

فِي حَرَارَةِ النَّدَمْ

أَرْقُبُ عَوْدَةَ حَوَّاءَ

حَتَّى نَفْهَمَ أَصْلَ المَسْأَلَةْ .

ولَمَّا كانَ الإنسانُ ، بأبعادِهِ المُتعدِّدةِ وثقافاتِهِ المُتنوِّعةِ على اختلافِ جِنسِهِ ولَوْنِهِ ودِينِهِ ومَنْبَتِهِ ، هو مِحورُ التَّفكير الفَلسفيّ وجوهر النَّصِّ الشِّعرِيِّ في الماضي والحاضر والمستَقبل ؛ فإنَّ الشَّاعِرةَ الدّكتورة / وفاء ، قد سلَّطت الضَوءَ على إحدى الظَّواهِر الاجتماعيَّةِ العَبَثِيَّةِ الَّتي تَتَلفَّعُ رِداءَ الإنسانيَّة في ظاهِرها ، وفي باطنها تَتَوشَّحُ الاستِغلالَ للمقهورين والتَّشهيرَ بأحوالِ البائِسين . ففي قصيدة " الشُّهرة " تستنفِر قَلمها السَّيَّال لِرفضِ ما يُمارسُ ضِدّ أحلام الفقراء وآمالهم ـ وقد ألجأتْهُم الحاجةُ إلى قَبُول الصَّدقَاتِ ـ مِن أعمالِ التَّشهير . تقولُ :

أَلَا تَبًّا لَكُمْ

هَلْ الصَّدَاقَاتُ فِي دِيْنِكُمْ

مَهْرُهَا دُمُوعُ الضُّعَفَاءِ

القَاصِرِينْ ،

ضَرِيبَةُ تَصْوِيرْ ؟!

إنَّ الهَمَّ الإنسانيّ للشَّاعِرةِ في بُعدِهِ الكَونِيِّ لَمْ يَشغلهَا عن التَّعبير عن هَمِّها الخصوصيّ في بُعدَيْه العروبيّ والوطنيّ ، فما بين الرَّفض للهمجيَّة الصهيونيَّة ، والاستنكار لموقف الحُكَّام العرب من قضيَّة العرب الأولى ، تقودُنا التَّجربة الشِّعريَّة للشَّاعِرة إلى استنهاض الهِمَمِ وبعث فضيلة الجهاد في رُوح الأمَّة مِن جديد بما يُمكِّنها مِن رَدع

غرور الصهيونيّة اللَّقيطة الَّتي تعثو في الأرض فَسادًا ، ومِن ثَمَّ إعادة فلسطين المَسلُوبة إلى بيتها العربيّ والإسلاميّ . تقول :

اللّٰهُ أَكْبَرُ

هَذَا نِضَالُ الأَحرَارْ

يَا شَعبَ العَارْ

لا شَعبَ اللّٰهِ المُختَارْ

تَبًّا لَكُم يَا بَنِي

الصِّهْيُونِيَّةِ الدَّمَوِيَّةْ

لَن تَنَالُوا الشَّرعِيَّةْ

فِي عُرُوقِكُم

تَجْرِي

كِبَائِرُ إِنْسَانِيَّةْ

وفي شأن الوطن تَتَجَلَّى تجربةُ الشَّاعِرةُ في شُعورهَا بالحَزَنِ وقد غَشَا الحُزن رُبوع الجزائر ، فَتَرَاهَا لا تفتؤ تُذكِّر بالظَّواهِر السَّلبيَّة الَّتي تُنَافِي تَطلُّعات نوفمبر النَّاصِر ، وتعُوق تقدُّم الجزائر بين مَصافِّ الأُمَم ، (فالحرِّيَّة لا تُراوِح فَكَّ الذِّئاب ، ارتداء الصَّمت زِيًّا للتَّعبير ، الحرام والحلال جيران) . وقد استطاعت الشَّاعِرةُ أنْ توظِّفَ الرَّمز التَّاريخسطوري في التَّعبيرِ عن مُعاناةِ الشَّعب وآلامِه والنَّهبِ المُستمِرّ لثرواتِهِ . فهذا (حِذاء فان غوغ) الّذي يرمُز إلى المُعاناة الاجتماعيَّة للشعب في ظِلِّ الأوضاع المَعيشيَّة المُزرية ، أمَّا (لَيْلُ عَلِي بابا المُتواصِل) فيرمُز إلى استباحِة ثروات الشَّعب مِن قِبَل اللُّصوصيَّة . تقول في قصيدة " مَمْنوع " :

فِي وَطنِي

يُطَارِدُنِي قَاطِعُ

السَّنَابِلْ

حِذَاءُ فَانْ غُوغْ

الفَاشِلْ

لَيْلُ عَلِي بَابَا

المُتَوَاصِلْ

وقد تعدَّدت الأغراض الشِّعريَّة لنُصوص الدِّيوان لِتُقرأنا سِفْرَ الأرواح وقد تَيَمَّمَت بالأوجاع الَّتي جعلت منها ألواحًا جِداريَّة صامِتَةً تَسكنُها الأطلال . ومِن ذلك :

ـ الحُزنُ : الّذي يُطبِقُ على النَّفس ويُلهِبُ الأحشاء ، قد أخذ في مُعجم الشَّاعِرة بُعدًا إنسانيًّا مَرَدُّه الانسلاخ عنِ القِيَم الإنسانيَّة النَّبيلة والوقوع في شَرَكِ العَدَمِيَّة . تقول (للجَالِسِينَ في مَرَايَا الكُهُوفِ ويَأْكُلُونَ مِنْ كَبِدِ المُعَانَاةِ ، ويَرشُفون مِن نَهْدِ الفِتَن ، ويغتسلون بِرَماد الدُّولارات) :

كَيفَ اِنْسَلَخْتُمْ

عَنْ إِنْسَانِيَّتِكُمْ ؟!

أَلَم نُولَدْ بَشَرْ ؟!

وَنَكْتَسِبْ الإِنْسَانَ

في حَاوِيَاتِ المِحَن ؟!

نُدْرِكُهُ أَوْ نَفْقِدُهُ

ـ الرَّثاء : ففي قصيدة " رثاء " تنعي الشَّاعِرةُ رمزَيْنِ مِن رموز الفلسفَة في الجزائر د. بشير ربوح ، ود. صادق بلام اللّذين مَثَّلت وفاتُهما (نكسةً مُوجِعةً في ساحة الثَّقافة) ، وهو ما يجعلُ (قُلوب الأحبَّة ترتدي الحِداد) لفقدهما . تقول :

فِي مِحْنَةِ الحَادِثَةْ

وَدَاعًا البَشِيرُ وَدَاعًا بلام

وَدَاعًا لا لِقَاءْ

ـ الحبُّ : فالشَّاعِرةُ تتحدَّث عن الحُبِّ كحاجةٍ قلبيَّة كما جاء في قصيدة " عزاء الحُبِّ " (كم وددتُ إرسال شُرياني ، إلى ميناء لا رُبَّان فيه ، لعلَّني في وجه البحر ألقى نصفي الآخر) ، وتحدَّثت عنه كقيمة إنسانيَّة مفقودة بين العرب ، وهي تتساءل (لِمَ يموت الحُبُّ عند العرب ؟) لتجيب في قصيدة " سؤال " :

أَنَّ العَرَبَ

ذَبَحُوا الحُبَّ

حِينَ شَرِبَ الحُبُّ

مِنْهُمْ ذُلَّ المَعَانِي

ورغم هذا المَنحى الّذي يَبدو تشاؤميًّا في النُصوص المتناولة إلَّا أنَّ الديوان حافِل بالنُّصوص التي تبعثُ بالتَّفاؤل والدَّعوة إلى النَّجاح والثِّقة في الله . تقول الشَّاعِرة في قصيدة " النَّجاح " :

اِمْضِ فِي طَلَبِ الحَيَاةْ

أَلْبِسْهَا جُبَّةَ التَّفَاؤُلْ

صُيرُورَةَ عَمَلْ

مَا غَارَ مَجْدُ الأَمَانِي

شَرَابُ النَّجَاحِ

الجِدُّ / التَّفَانِي

ويُمكِن القَولَ : إنَّ شِعرَ الدكتورة / وفاء برتيمة ، حافِلٌ بالتَّأمُّلات الفلسفيَّة الكثيرة الَّتي يَتِمُّ طَرْحُها بعَفَويَّةٍ شديدةٍ ، وتكون الإجاباتُ أَشْبَه بأنْ تكون حتميَّة ؛ لأنَّها مَدعومَةٌ بالشُّعور أو العاطِفة ، أو مَدعومَةٌ بشِعْريَّةِ النَّصِّ القادِر على اجتياح عقل المُتلقِّي ووجدانِهِ . تقول ، مَثَلًا ، في قصيدة " زمني " :

الآمَالُ سَطرٌ

فَمَنْ ، يَا زَمَنِي ،

يَكتُبُ السَّطر ؟!

اللِّصُ /المُفْلِسُ

الخَائِنُ / الجَبَانُ / العَاقُ

وَجهٌ بِأَلْوَانْ

مُثَقَّفٌ مُمَزَّق الهُوِيَّةْ

رَجُلُ دِينٍ فِي عُطلَةِ

ضَمِيرٍ مَعَ صَكِّ ائتِمَان !

كُلُّ المَحَطَّاتِ خَانِقَةٌ

وفي شأنِ الصُّورةِ الخياليَّة تُحَوِّلُ الشَّاعِرةُ ، دائِمًا ، المُجرَّد المعنويّ إلى ماديٍّ مَلمُوس ، وأحيانًا تُشخِّصهُ لتجعلَ القارِئَ يعيشُ في كَونٍ تُهيمِنُ عليه الحركيَّة والإنسانُ فيه مُترَبَّصٌ به مِن كُلِّ الجِهات . ففي هذه الصُّورة ـ مثلًا ـ تَجِدُ صورةً طريفةً تُلامسُ المشاعِرِ الإنسانيَّة باختِلافِ لُغاتِها أو ثقافتها ، وذلِك حين تقولُ :

لَنَا أَقْدَارٌ

مَبْتُورَةُ القدَمِ

أَحلَامٌ مُعَطَّلَةٌ

في خَزَانَةِ المِحَنْ

أمَّا الرَّمز فقد كان حاضِرًا في النُّصوص الشِّعريَّة كوسيلةٍ تعبيريَّة للتَّخلُّص مِنَ السَّطحيَّة والمُباشَرة ، وقد وظَّفت الشَّاعِرة الرُّموز التَّاريخيَّة والأسطوريَّة بحيث تكون مُعبِّرة عن الحاضِر غير مُنفصِلة عنه ، بل على النَّقيض تستحضِر الأسطورة إلى اللَّحظة الآنيَّة وتمزجها بتجربتها الشِّعريَّة ، فتتلاشى الحدود بين العصور ، ويبدو الإنسان مُمتدًّا أو نموذجًا واحِدًا مُتَّصِلًا . مِن ذلك ما ورد في قصيدة " عجِّل " حيث استخدمت الرَّمز التَّاريخسطوري (ساق هولاكو ، زفرة الحجاج ، ولاعة نزار) للتعبير عن طُغيان سُلطان الغريزة والرَّغبة على حِساب الحكمة ، تقول :

أَرْقَامُ مَارِدِ الحَيِّ

طُوبَاوِيَّةٌ مَاكِرَةٌ

مِنْ سَاقِ هُولَاكُو

حَتَّى زَفْرَةِ الحَجَّاجِ

إِلَى وَلَّاعَةِ نِزَارْ

في الخِتام ، وبعد هذه القراءة السَّريعة لديوان " أرواح مِن لوحٍ " للشَّاعِرة والدكتورة / وفاء صالح برتيمة ، لا يَسَعنِي إلّا دعوةَ القارِئ العربيّ لِقراءة هذه النّصوص الشِّعريَّة قراءةً مُتأنِّيةً ؛ لِمَا تُمثِّله مِن رسالةٍ مِن قلبٍ يَعتصِرُه بالغُ الأسى والألمِ مِمَّا آلَ إليه العالَم الآن مِن دَحْرِ فضيلة الإنسانيَّة في مقابل تنامي النَّزعة الفردانيَّة ، رسالة إلى الأحياء مِن البشر في مواجهتهم لهذا الهمجيَّة الآخِذة في الانتشار عبر العالَم .

قراءة : حمدى عبد اللاه رضوان

دكتوراة فلسفة التربية

معلِّم أوَّل (أ) للعلوم العربيَّة بالأزهر الشَّريف

النار اليونانية..لهيب الحروب في العصور الوسطى



"التاريخ سلسلة متصلة الحلقات إذا فُقدت إحداها تعثر لدينا فهم الماضي والحاضر وأستشراف المستقبل"

(الباحث/أحمد الجمال)

كان للأقدمين أسلحتهم ووسائلهم الحربية المدمرة، ومنذ أقدم عصور التاريخ يتجه الذهن البشري إلى إبتكار هذه الوسائل، وسوف نلاحظ إذا إستعرضنا وسائل الحرب والتدمير القديمة إلى جانب وسائل عصرنا، وما بلغت من التقدم والروعة سواء في البر أو في البحر أو الهواء أو في عالم الذرة، بيد أن هذا اللون الشاسع لا يمنع المؤرخ الذي يتأمل صحف الغابر في إعتبار وروية، أن يقف مابين آن وآخر وقفة الإكثار والإعجاب بما استطاعت مدنيات الحرب القديمة أن تخرجه من آلات التدمير ووسائل الدفاع.

كانت النار اليونانية في العصور الوسطى، أروع وسائل الفتك والتدمير. وقد لبثت تصوراً أعجوبة

الحرب ووسيلة فريدة لحماية الدولة الشرقية ، ورد حملات العرب البحرية عن ثغورها وشواطئها.

ومنشأ هذه النار التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ العصور الوسطى غامض جداً، فقد إستُعمِلت لأول مرة وسيلة ناجحة للتدمير في أواخر القرن السابع من الميلاد .

ويذكر تاسيتوس أنه في هذا العصر كان يُستعل في المعارك البحرية مُركب الكبريت والقار والفحم ووبر الكتان، يوضع في قوارب سريعة ويقذف ملتهباً على مؤخرات سفن العدو، ثم أضيفي إلى هذا المُركب حوالي سنة ٣٥٠ق.م النفط والبترول، ويذكر المؤرخون اللاحقون في قصص الحروب والمعارك إلى ما بعد ذل ك بنحو تسعة قرون مُركباً يصنع من هذه المواد، ثم تطور هذا المركب فأضيف إليه ملح البارود وزيت التربنتي ن والشحم، وأستعمل في الحروب الصليبية وعرف عندئذ بالنار اليونانية .

غير أن هذه النار التي أستعملت في الحروب الصليبية، لم تكن هي النار اليونانية الحقيقية، التي أستعملت في المعارك البحرية بين البيزنطيين والعرب، والتي مازال سر تركيبها إلى اليوم موضع الخلاف والتكهن. وترجع ا لأساطير الدينية البيزنطية أصل هذه النار إلى الوحي الإلهي، فيزعم الأمبراطور قسطنطين أن سر النار اليوناني ة قد أفضى به ملك من السماء إلى الأمبراطور قسطنطين الأول، هبة من الله وبركة أسبغها على الرومانيين، و لكن الصحيح المعول عليه أن هذه النار لم تظهر بين وسائل الحرب البيزنطية إلا بعد ذلك بنحو ثلاثة قرون، في عهد قسطنطين الرابع وأن الذي

اخترعها مهندس مصري يدعى كالنيلوس، كان في خدمة العرب، ويقال إنه مصري من هليوبوليس المصرية، ور بما كان هذا هو الأصح لأن الكيمياء كانت علماً مزدهراً عند المصريين منذ العصور الأولى، وكانت لهم فيها مباحث وأختراعات جليلة ، وظهرت روعة هذا السلاح الجديد لأول مرة في حصر العرب الأول القسطنطينية سنة ٦٦٨م.

أما سر تركيب هذه النار العجيبة فما زال محوطاً بالخفاء، شأن مواد التحنيط عند قدماء المصريين التي مازال ت سراً على العلم الحديث، على أنه يستنتج من أقوال المؤرخين البيزنطيين وإشاراتهم إلى النار اليونانية، أنها كا نت تركب من الانفتاح(زيت النفط) وهو زيت سريع الإلتهاب، يلتهب حالما يصطدم بالهواء، ومن الكبريت وا لفار بنسب ومقادير لم تعرف حتى الآن .

وكان هذا المركب يحدث دخاناً كثيفاً وانفجاراً عظيماً، وتنبثق منه نار شديدة حامية تندلع ألسنتها صعوداً

وهبوطاً في نفس الوقت، وتضطرم اضطراماً سريعاً هائلاً، ولاتنطفئ عند ملامسة الماء بل تشتد وتحتدم ولا يخمد أدوارها سوى الرمل والخل، ويستنتج المؤرخ الحربي الكولونيل(هايم) في كتابه عن تاريخ الأسلحة والذخا ئر الحربية، أن النار اليونانية

كانت تحتوي على مقدار من الجير. وهذا هو السبب في احتدامها واشتدادها عند ملامسة الماء، وعلى ذلك فقد كانت تركب من زيت النفط والكبريت والجير والقار فينتج من ذلك السائل الملتهب، ومن ذلك سميت بال نار السائلة، ونار البحر.

وكانت النار اليونانية تستعمل في حروب البر والبحر معاً، أثناء الحصار، فتقذف من فوق الأبراج أو الأ سوار في آنية كبيرة، أو تطلق في كرات مشتعلة من الحديد والحجارة أو في سهام ملتوية قد لفت بالقنب والو بر والشعر، مشبعة بالسائل الملتهب، وأما في المعارك البحرية فكانت تحمل في سفن النار (الجرافات) وتطلق من أنابيب طويلة من النحاس ركبت على مضخات ضاغطة توضع في السفينة، وجعلت على هيئة وحوش.

وقد احتفظ البيزنطيون طويلاً بسر هذا السلاح الهائل، واستأثروا باستعماله في محاربة أعدائهم عصوراً طويلة .

وكانوا يعيرونه أحياناً إلى حلفائهم ولكن دون أن يبوحوا لهم بسره.

وتأسيساً على ماسبق يمكننا القول أن النار اليونانية كانت تُعد إحدى أسلحة الردع والقوة العسكرية لمن يمتلك ها في العصور الوسطى بما تمتلكه تلك النار من قوة فتاكة وفاعلية كبيرة وقدرة على حسم المعركة لصالح الجيوش والقوات التي تمتلكها وتتقن فن إستخدامها وتتطويع مزاياها الكثيرة لصالحها.

ودائماً وأبداً......... سنحيا بالأمل في الله بغدٍ أفضل لمصرنا الحبيبة وأمتنا العربية والإسلامية العزيزة........ سنحيا بالعلم .... سنحيا بالكفاح...... سنحيا بالتسامح........ سنحيا بالإبتسامة الجميلة.

بقلم الباحث/ أحمد الجمال

باحث في التاريخ الحديث والمعاصر

كاتب بعدة جرائد مصرية وعربية

مقدم التاريخ بالإذاعة المصرية

من المُخّرب ؟

الباحث : محمود يوسف



مرة وانا أتصفح أحد مواخير العلمانيين علي الفيس بوك،رأيت منشور بيتحدث فيه صاحبه أنه إذا حل الاسلام علي ارض حل فيها الخراب !!!

والصراحة تعجبت عندما تذكرت العراق لما حكمها المسلمين ولما حكمها الغرب العلماني ،غير الهند ومالي والأندلس.

تعالوا نتعرف من هو المخرب ؟

العراق

عندما فتح المسلمون العراق بنوا فيها مدن وهي : بغداد والكوفة والبصرة والهاشمية وسامراء و واسط.

يقول (ول ديورانت) في كتابه موسوعة قصة الحضارة

"يمكن القول بوجه عام أن المجتمع الإسلامي كان مجتمعا ذا ادب راقي الي أقصي حدود الرقي ..كان من المظاهر التي تشرف بها الحياه في بغداد أن الفنون والعلوم التي لا يحرمها الاسلام كانت كلها بلا استثناء تجد فيها من يشجعها ويأخذ بناصرها ،وان المدارس علي اختلاف درجاتها كانت كثيرة العدد منتشرة في جميع الانحاء ،وان الهواء كان يردد أصداء الشعراء" .

ويقول المستشرق الأمريكي _لبناني الاصل_ فيليب حتي :

" في أيام هارون الرشيد أصبحت بغداد مركزاً للغني الباذخ والأهمية العالمية ،ولم يكن مضي علي تأسيسها نصف قرن ،فوقفت وحدها تضاهي بيزنطة ،وكان مجدها متناسبا مع الامبراطوريه التي كانت هي عاصمتها حتي قيل :لم يكن في لبغداد في الدنيا نظير"

ويقول المستشرق الفرنسي دومينيك سورديل :

"كانت عاصمة الخليفة بغداد خلال حقبة قصيره المركز الوحيد للثقافة ،اليها توافد الشعراء حتي من الأقاليم البعيدة يقدمون المدائح ،وهنا تجمع الفنانون والحرفيون للعمل في البناء أو في الزينة للصروح الضخمة وكذلك لصنع التحف والملابس ،وهنا أيضاً التقي العلماء والكتاب الاكثر شهرة "

ويقول الرحالة المشهور ابن جبير عند زيارته لبغداد متحدثاً عن ما فيها من شواهد حضارية :

" واما حماماتها فلا تحصي ،ذكر لنا أحد أشياخ البلد أنها بين الشرقية والغربية نحو الألفي حمام ....والمدارس بها نحو الثلاثين وهي كلها بالشرقية ،واعظمها وأشهرها النظامية ،وهي التي ابتناها نظام الملك"

انتهي الحديث عن بغداد

هذا عندما حكم المسلمون العراق، أما عندما حكمها الغرب العلماني، اول عمل قامت بها امريكا عند دخولها لبغداد ،تدمير البنية التحتية للمدينة ،واغتصاب وتعذيب أهلها في سجن ابو غريب ،وفي عدة سنوات تم قتل أكثر من مليون عراقي ،وبعد انسحاب الجيش الأمريكي عام 2011م كانت مدن العراق كلها ممزقة تعصف بها الحروب الأهلية !!!

الهند

لما حكم المسلمون الهند ، انتشرت في أرجائها الرخاء والازدهار ،يقول المؤرخ وعالم الاجتماع الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه حضارات الهند :

"والمسلمون حين أدخلوا الي الهند حضارة العرب ،وماشادوه في عواصمهم ،احمد اباد وغور ودهلي وبيجابور ،الخ. من المباني ينطق بعظيم حمايتهم للفنون ،وما انتهي إلينا من تراجم ملوك المسلمين يثبت لنا أن هؤلاء

الملوك كانوا يشجعون الاداب والعلوم أيضاً ،ومن ذلك أن ملك مملكة غولكندا الصغري فيروز شاه كان يزاول علم النبات والهندسة والشعر ولايحيط نفسه بغير العلماء والشعراء والمؤرخين "

ويقول في موضع آخر :

" وسار المغول علي غرار الآخرين فاداموا حضارة هؤلاء محبين الاداب والعلوم والفنون حبا جما ،فرحبوا بالشعراء والعلماء ورجال الفن مهما كان جنسهم ،ولا تزال المباني التي شادوها ،فلم يصنع الغرب ما هو اروع منها ،تثير العجب ،ولم تكن العلوم دون الفنون حظوة في دولتهم فأنشؤا المدارس وأقاموا المراصد "

انتهي الكلام عن الهند

علي الجانب الآخر ،عندما حكم الغرب العلماني الهند ،متمثلا في الاحتلال الإنجليزي ،خاضت الهند 8 مجاعات راح ضحيتها 20 مليون نسمة ،وتم ساب ثروات الشعب عن طريق (شركة الهند الشرقية) ودخلت البلاد في حروب أهلية بين طوائف الشعب مات فيها الملايين !!!

مالى

هل احد سمع عن اغني رجل في العالم ؟؟؟؟

أنه امبراطور مملكة مالي الاسلاميه مانسا موسى

يعتبر الملك مانسا موسي (1280-1337) والتي تبلغ ثروته بالدولار الامريكي 400 مليار دولار ،وفقا لقائمة اغني رجل في التاريخ (worth website) (celebrity net(اغني 25 شخصية عبر التاريخ) التي أعدها موقع عبر كل العصور.

ولمنسا موسي الفضل في ازدهار مالي ،حتي صارت أية في الجمال والرخاء ،في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تعاني من الفوضي والمجاعات !

وقد كانت تمبكتو عاصمة مملكة مالي ،اشبه بقرطبة وبغداد والقاهرة ،وكانت جامعة زانكورة فيها مقصد العلماء من جميع أنحاء افريقيا ،ومكتبتها مكتبة جامعة زانكورة تحتوي علي الكثير من المخطوطات والكتب.

يقول المؤرخ المالي محمود كعتفي كتابه تاريخ الفتاش :

"وأما مالي فاقليم واسع ،وارض كبيرة عظيمة ،مشتملة علي المدن والقري ،ويد السلطان مالي مبسوطه علي الكل بالقهر والغلبة ،وكنا نسمع عوام عصرنا يقولون :سلاطين الدنيا أربعة ،ماخلا السلطان الاعظم سلطان بغداد ،وسلطان مصر ،وسلطان برن،وسلكان مالي ...قيل إن مالي أرضها كثيرة الخير ،وليس في المملكة سلاطين الدنيا غير الشام احسن منها ،واهلها ذوو ثروة ورفاهية عيش "

انتهي الكلام عن مالي

ظلت مالي في ازدهار ورخاء حتي جاء غربان الاستعمار الفرنسيين العلمانيين واستولوا علي مالي ونهبوا كل ما فيها من الذهب ،ودمروا حضارتها التي أستمرت لقرون ،وبعد أن خرجوا منها لم ينسوا ،ان يضعوا عملائهم العلمانيين علي سدة الحكم ،مع تشكيل دستور علماني بحت ،ليعطلوا شرع الله،ويمسحوا الهوية الإسلامية للبلاد (الفصل 25 من الدستور المالي : مالي جمهورية مستقلة ،ذات سيادة ،غير قابلة للتقسيم ،ديمقراطية علمانية)

وبفعل الاستعمار والحكومات العلمانية العميلة ،مالي اليوم من أفقر دول العالم ،بعد أن كانت من اغني الدول !

الاندلس

عندنا فتح المسلمون الاندلس بنوا فيها مدن وهي : الزهراء ومرسية والمرية وتطيلة وسالم ومدريد (عاصمة إسبانيا حالياً)

يقول المستشرق الانجليزي ستانلي لين بول في كتابه قصة العرب في اسبانيا :

"ولقد كانت قرطبة في أيام الخليفة العظيم حاضرة جديرة بالفخر والإعجاب ،واذا استثنينا بيزنطة فلن نجد في أوروبا مدينة تساميها في جمال ابنيتها ،او في حياتها الرخية المترفة ،او فيما تزخر به أنواع العلوم والفنون والآداب"

ويقول في موضع آخر :

"وللحمامات شأن كبير في المدن الإسلامية ،لان النظافة عند المسلمين ليست من الايمان فحسب ،بل هي شرط لازم لأداء الصلوات والعبادات عامة ،وذلك في حين أن كان مسيحيو العصور الوسطى ينهون عن النظافة ويعدونها من عمل الوثنيين

ويقول المستشرق والمؤرخ عالم الاجتماع الفرنسي غوستاف لوبونفي كتابه حضارة العرب :

"إن شأن العرب المدني لم يبد في قطر ملكوه كما بدأ في اسبانية التي لم تكن ذات حضارة تذكر قبل الفتح العربي ،فصارت ذات حضارة ناضرة في زمن العرب ،ثم هبطت الي الدرك الأسفل من الانحطاط بعد جلاء العرب"

وتقول زيغريد هونكةفي كتابها شمس الاسلام تسطع علي الغرب :

"وبينما جريدة كولونيا الألمانية تصف إضاءة الشوارع بمصابيح الغاز في عددها الصادر يوم 28 مارس 1819م ،بانه شر مستطير من البشر يهدد الظلام الألهي ،كانت شوارع قرطبة حوالي عام950 م تزدان بثمانين الف متجر وتضاء ليلا بمصابيح ثبتت علي حيطان المنازل وتباشر فيها أعمال النظافة عن طريق عربات القمامة التي تجرها الثيران"

انتهي الكلام عن الاندلس

لما سقطت الاندلس ماذا حدث ؟؟؟؟

يقول المستشرق البريطاني جوزيف ماك في كتابه مدنية المسلمين في إسبانيا :

" تقدم الصليبيون وهم مزيج من كل جنس الي قرطبة وإشبيلية في القرن الثالث عشر ،ومن ذلك العهد اخذت قرطبة التي كانت في علياء المجد تتقلص وتتضاءل حتي صارت قرطبة القرن التاسع عشر قرية حقيرة !!! ودمر هؤلاء كل آية من آيات المغربيين وذكريات فنونهم ،حتي ساووا كل ذلك بالتراب ،وعمد أولئك الهمج الي الآلات العلمية فحطموها وجعلوها رميا ،واخرجوا الكتب وكانت لا تحصي كثرة وجعلوها أكواما في الأزقة وأوقدوا فيها النيران ،و اسلمت القصور المشيدة الجميلة والحدائق البهيجة لأيدي الخراب والضياع"

ظلت اسبانيا في تخلفها وتأخرها منذ سقوط الاندلس ، والانحطاط يضربها في كل مناحي الحياة حتي منتصف القرن ال20.

اذن القارئ المحايد سيعلم أنه عندما يحل الغرب العلماني في أي أرض يحل معاه الخراب !

هذا هو الفرق بيننا كمسلمين وبين الغرب العلماني !

هذا هو الفرق بين الفتح الإسلامي والاحتلال الغربي !

فالمسلمون عند دخولهم لاي أرض فإنهم يعاملوها كأنها أرضهم ويطبقوا عليها نفس القوانين التي يطبقونها في عاصمتهم ،الا وهي الشريعة الإسلامية.

أما الغرب العلماني عند دخوله لاي أرض فهو يعاملها كأنها مجرد زريبة يمتص حليب أبقارها ويرسله الي بلاده ثم يترك البقر لتموت لوحدها !